قصص

جواهر في زجاجة

قصص وجواهر وألماس وضعتها في زجاجة واحدة .

فاطمة الزهراء غيبوب

جواهر في زجاجة

مجموعة قصصية

بقلم:

فاطمة الزهراء غيبوب

الكتاب: جواهر في زجاجة.

النوع: مجموعة قصصية.

تأليف وتدقيق: فاطمة الزهراء غيبوب.

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي: مكتبة كتوباتي.

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

الفهرس:

إهداء..... 4
المقدمة 5
رسالة شوق..... 6
لغز البيت 9
ضحايا العنف..... 15
إمرأة من حلب..... 17
كريمة وقارب الموت 21
لم ينجبن رجالاً !!!..... 24

إهداء

اهدي هذا الكتاب لله تعالى الذي وفقني وإلى نفسي

المقدمة

بعد بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله..
حاولت جاهدة أن أجمع بين كل قصصي القصيرة في كتاب واحد ..كأني جمعت جواهر و ألماس و وضعتها في زجاجة واحدة ...
حتى يتسنى للقارئ أن يعيش مشاعر مختلفة مع كل قصة يقرأها ..إن وجدت أخطاء فإعذروني لأني لا اتعامل مع منقحين ..كل هذا عملي لوحدي.

رسالة شوق

في مملكة بعيدة على أعالي جبال العشق و الغرام ولدت قصة أميرة و أمير ، ليكون فارس أحلامها البريئة التي كادت أن تتبدد بين وجهي الخوف و الخيبة لعملة واحدة هي الحزن و الأسى..
*دعوني أقصص عليكم القصة كاملة ،تلك القصة التي بدأت بصدفة أو ما يشببها لتنتهي بكلمات شوق و حنين.
*كانت هناك أميرة بجمال أخاذ ، كزهرة التكوك النادرة أو شمس يموت من على الأرض اذا أطالت الغياب.
لكن ما زاد من جمال و رونق الأميرة إيناس هو طيبة قلبها ، و أخلاقها الحميدة التي تأسر كل من عرفها ... لكن كأي قلب تعرض لنوبات و صدمات القدر و الخيانة في الحياة جعل من قلبها البريء يعاني الحزن و الإنعزال بين قصور الوهم و اليئس.
لكنها كأي فتاة قوية أخفت كل ألمها وراء إبتسامات صفراء باردة لعلها تقنع من حولها أن قلبها بخير.
لم يشعر أحد بحزنها ولا إلى همها .إلا صديقة لها أحست أن إيناس تتهرب من واقع قلبها ..وراء ستار الفرح المؤقت ..الذي ينجم عنه إنفجار بالبكاء بعد أن تخلوا وحدها بغرفتها الصغيرة الباردة.
نصحتها أن تكلم أحدهم ، فهو شاب يافع يفهم في هذه الأمور لعله يستطيع نصحها و إرشادها . و ربما سيغشى الحزن من على جوهرتها التي تقع يساراً خلف ضلوع صدرها.
كلمات صديقتها أخذت إيناس للبحث في أعماقها و التنقيب عن جواب يقرر الأمر .. أتقبل و تكلمه أو تبقي على روحها بين طيات إنعزالها و حياتها السرية الحزينة.

بعد أيام في التفكير ، هل ستفتح الباب ليدخل احدهم لمملكتها الكئيبة ؟

_أخذت قرارها أن تكلمه لعلها تجد نصحه و رشده لها...

بدأت تكلمه بكل الوسائل و تلتقي به ...رأت أن حياتها اخدت منعرج آخر..كأن نوافذ قصرها فتحت لتتسلل أشعة الفرح داخل قلبها ...بدأت تروي له خيباتها و أحزانها وجل ما مرت به جعلها وحيدة حزينة .. فرأت فيه ملاذها ..الأمير أو أمير قصة الحب هذه ... الشاب اليافع "بدر" كان بالنسبة لها كحلم جميل لا نرغب

في الاستيقاظ منه ، كأنه ربيع طغى على خريفها فحوله الى زهور و إخضرار.

_فحتى هو. قد رأى في عيناها ذلك الألم الذي انجلى بوجوده ، بدأت كلماتها و ضحكاتها تدق على قلبه.

_وبينما هي معه بإحدى الأماكن التي اعتادا اللقاء بها ، نظر إليها ليخبرها بأنه أحبها منذ الوهلة الأولى ، و جلست على عرش قلبه

توترت بعد أن أعلن عن حبه لها .. ولم تبح بكلمة ، سوي للنظر في عينيه..خفق قلبها فرحاً بذلك لكنها تجمدت مكانها فربما كانت لحظات لم تجربها من قبل.

لكنها لم تعرف مشاعرها إلا بعد أن أحست بتلك المشاعر التي لم تفارق قلبها منذ لقائه شوق دائم له و تمنيها بأن تبقى معه اطول مدة ..كأن الزمن لم يعد يكفيها معه فعلمت أنها تحبه.

وفي اليوم التالي صارحته أن قلبها ملك له.

أصبحت تنام على صوره وتستيقظ عليها ، تفكر به في كل

الأوقات.
تغيرت حياتها من حزن الى سعادة و كأنه يبث فيها نشاطاً.
وعندما يغيب كان الزمن يمر ببطء كأنها جالسة حبيسة في غرفة بها ظلام عاتم و سكون رهيب.
لكن فرحتها لم تدم ،
فالمشكلة أنه كان في علاقة مع إمرأة أخرى لكنه أحبها و أرادها هي لدرجة البكاء عليها ليل نهار.
، لقد عاشت حب حقيقي معه و إستطاعت في الأخير أن تضحك وتفرح من قلبها لكن بحكم أن بدر في علاقة مع بنت أخرى حاولت الرحيل أكثر من مرة لكن الشوق يعيدها إلى محبوبها.

_كانت العوائق كثيرة بينهما لكنها دوما تتغلب على تلك العوائق... فقط لتعرف أخباره و تتحدث معه.كأن القدر لعب لعبة الفراق هاته.
دعني أخبركم أن راوي القصة هو أنا بدر أريد أن أقول لقد إشتقت لإيناس كثيراً إشتقت لها.
أرجو أن تكون بخير وأن يحفظها الله من كل شر.
إيناس رمضان مبارك و إعتني بنفسك.
إشتقت لك كثيراً . أسأل الله أن يحميك.
أحبك.

لغز البيت

أتذكر سافرنا إلى ولاية تبعد عن ولايتي مدة ستة ساعات توقفت بنا الشاحنة التي كانت تحمل أغراضنا نحن الموالون أو المتجولون من مدينة لأخرى ..بزغ الفجر وهب نسيم قاسح لا يرحم عظامنا التي غطتها ملابس رثة ..فتحت عيناي و الصداع يفتكني من شدة البرد بالطريق و صوت الشاحنة.. رأسي يؤلم و أرتجف ...هاأنا ذا وعائلتي وصلنا إلى ريف المدينة التي نطمع أن تكون خلاصاً لجوعنا و فقرنا... الحمدلله وصلنا ..نظرت إلى البيت الذي سنعيش فيه لمدة ثلاث اشهر في الصيف لنعود الى مدينتنا بسكرة الصحراء الدافئة...لكن أم البواقي رغم الصيف إلا أنها باردة جداً...عندما نظرت إلى ذلك المنزل تخيل لي أن به شخص ما يراقبني من النافذة ...لا اكذب و أقول لم أخف ...ارتعبت منه بصراحة ...كأنه بيت من افلام الرعب ...يا إلهي ماذا سينهي هذه الأيام الطويلة ...لكني حاولت إخفاء الأمر جاء أخي بالمفتاح. بعد أن أعطاه اياه الرجل الذي سنعمل عنده كرعاة للغنم و الابقار..وضعنا أغراضنا وافرشتنا و اغطيتنا. من على الشاحنة . ثم دخلنا .. اتذكر اني هلعت لمظهر البيت ..كانت شبكات العنكبوت في كل مكان.. كان هادئاً..اتذكر اني دخلت بقدمي اليمنى وقلت بسم الله الرحمن الرحيم.. عندما دخلت انا واختهاتي ...طارت العصافير التي اتخذت البيت مسكنا لها خرجت من باب السطح ...فزعت كثيراً... والله اتذكر ان البيت كان مظلم بشكل غير طبيعي...يالله ماذا يحدث معنا .. أدخلت حقائبي وفراشي فأنا معروف عني كسولة. لا أعين أحد سوى نفسي ..وضعت فراشي بعد أن نظفن البنات

المنزل من الغبار ..وغفوت ..لم استيقظ إلا مع المساء ..مرت أيام كانت الأمور تبدو غريبة شيء فشيء .. النوافذ تفتح وتغلق مصدرة صوت صخب عندما نذهب نجد النسيم نلصق التهمة فيه أو في الرياح ..كنت أنام مع أختهاي ليلة الأولى .. حلمت بكابوس غريب جدا..رأيت مرأة سمينة وسمراء جالسة. ولها إبنة فتاة بعمري تقريبا عرفتني على امها وبعض النساء الجالسات معها ..لم أفهم ذلك الحلم جيدا استيقظت صباحا محتارة ..كان الماء قد نفذ من عندنا.... تقريباً كان وقت منتصف النهار . ذهبت لجيراننا وعندما وصلت خرجت لي فتاة. يالله أنها نفسها التي حلمت بها تلك ليلة ...ثم سلمت عليها و شغلت لنا الحنفية لأسقي الماء ...خرجت أمها ..تبا انها نفسها المرأة التي رأيتها في الحلم ايضاً ..ماذا يحدث معي يالله ...عدت إلى البيت مهلوعة .. أخبرت أمي. .قالت مجرد صدفة فقط ..مرت ليالي وأيام ..بدأت الأمور تثير شكي و حتى اختهاتي ..بدأت أختي الكبيرة تتعب وتمرض ..ولم تعد تلك النشيطة التي تنظف وتطبخ ...أخذها ابي الى المشفى رأتها الطبيبة ..ثم قالت لها انصحك برقية شرعية ..ذهب ابي و رقى لها ..قالت لي اختي .انها كانت نائمة أحست بشي يلامس قدماها شعر أرطب .. إعتقدت أنه قطنا ابعدته بقدمها ..عندما دخلت اختي الاخرى و أشعلت المصباح الهاتف ...لم تجد أختي شيء بجانبها...بدأنا نخاف ..نزعنا زجاج النوافذ...خائفين من رؤية شيء بالنوافذ ..وفي ليلة ليست بباردة كما هو معروف عن ولاية أم البواقي ..نسيم بارد لكن الجو ساخن ..صليت العشاء و قرأت سورة يس تلك السورة التي ارتاح لقرائتها .. وضعت مصحفي بجانب رأسي وغفيت وحدي بالغرفة المظلمة بدون كهرباء

...وبينما أنا أغازل النوم على عيوني ..حتى تأتيني مرأة ضخمة لاتشبه البشر ..مسكتني من رقبتي وبدأت تخنقني ..كنت أشعر بيديها ..تهيأ لي أنني نظرت إلى جهتي اليمنى رأيت رجلا ينظر لي ..فتحت عيناي فرأيت طفلا في الثانية من عمره اي بعمر السنتين يقفز مابين جدران الغرفة المظلمة .وبالسطح ..لازلت اتذكر وجهه المخيف ..لا يشبه الأطفال بل كان جسده جسد طفل لكن الوجه شيء آخر .وكان يضحك بضحكات طفل متحمس لسفك دمي أو لا اعلم ..لكني كنت أحفظ آية الكرسي ..فرُحت أجودها تجويدا..بدأت تصرخ بوجهي ثم أحسست أنها أمرتني بالخروج كنت أركض صاعدة على السلالم وقتها وأنتظر أن تسحبني من قدمي كما في أفلام الرعب..الزمن الذي أخذته في الصعود للسطح هو ثواني معدودة فقط لكن بالنسبة لي أطول فترة ممكنة عشتها بحياتي ...أشعر بها ورائي أشعر بها تبتعد كلما ركضت للأعلى أعتقدت انها آخر ليلة في حياتي..وصلت أتكلم بتقطع ايقظت أمي و أخي ... نزل أخي و أضاء المكان بمصباح هاتفه لم يرى شيء إبتعدت أمي عن اختي الصغيرة ونمت أنا بمكانها غفوت وأنا خائفة اقول لأمي مرأة أرادت قتلي مرأة أرادت قتلي ..لكنها كعادتها لم تصدقني ...قرأت عني القرآن وقالت مجرد حلم لأنك بقيتي بالأسفل وحدك ..مرت أيام ..أختي عندما تقوم للصلاة قالت لي أن إمرأة تقف بجانبها تراقبها وهي تصلي ..وعندما تكمل وتسلم لا تجدها ...لم ترها مرة واحدة بل تكرر الأمر عدة مرات ..أختي الكبيرة كانت حالتها سيئة .. وتخفي عنا ما تراه حتى مرة فرشت بجانبها على سطح اخبرتها أني اخاف البيت قالت لي : صدقيني أنني أرى إمرأة ...ثم وصفتها لي تبا إنها نفس المرأة التي حاولت

خنقي..ثم قالت لي : إن قبل نزع الزجاج الذي بالنافذة و الذي كان يعكس الوجه مثل المرآة ..قالت كلما نظرت لوجهي رأيتها ...أما أختي الأخرى فقد حلمت بحلم هي أيضا حلمت بأختي التي أصبحت مريضة .. فمها كبير وتصرخ من نافذة تلك الغرفة التي تنام فيها ...قالت اختي لأختي الأخرى يجب أن تغيري الغرفة او مكان نومك ..لكنها لم تفعل ..أختي التي رأت الحلم دائما تنام في المطبخ لأنها لا تحب النوم معنا كثيرا فهي إنطوائية لحد ما..كانت هي أيضا تحلم بأمور غريبة لكنها تخفي الأمر.. حتى والدي لم يسلم فقد تهجم الأشخاص ..لكن عندما يستيقظ لا يجد أحد * لم يبقى إلا أمي التي أنكرت وقالت أننا مجانين فقط . جاء رمضان و إرتحنا ولم نرى شي لكن في ليلة ما قبل رمضان قمنا للسحور.. اشتد ليلتها بكاء الطفل ..سمعته أختي التي مرضت ..كانت ترا المرأة وتسمع بكاء طفل رضيع .حتى أنا أشعر بشيء يراقني خاصة عندما اكون بمفردي..مرت الأيام ومر رمضان الكريم ..وجاء العيد .. وبدأت الامور تعود لطبيعتها المخيفة..شككت في الأمر فإتجهت لجارتنا التي تكررت زياراتي لها في رمضان ...كنت أحاول جمع معلومات لكن لم أجد ..مرة كان الجو

باردا فنمت بغرفة امي و أبي لأن علاقتي مع اختهاتي أصبحت سيئة اشعر انهم يطرهونني ويريدون لي الموت.. وبينما أنا اساير النوم على جفوني إذ بي أرى إمرأة شعرها أسود طويل لم أرى وجهها كأنها غاضبة من وجودي أنا وأهلي ..تخيل لي أنها تتجه للمطبخ ثم مسكت رف الأواني وأوقعته أرضا..سمعت أختي

بالمبخ تصرخ طاردة القط .. ذهبت أمي لها وجدت الأواني قد سقطت بالأرض ألصقوا التهمة بالقط وعندما أشعلوا مصباح الهاتف لم يجدوا القط ..هواتفنا دائما ما نشحنها عند الجارة .لأنه إذا انتهي شحن البطارية سنبقى في ظلمة وخوف ..عرفت أنها إمرأة ..ولها طفل وزوجها أيضا كان يعيش معها ..الرجل لم يظهر لي إلا مرة عندما حاولت هي خنقي ...لكن مرة

لكن مرة أختي الثالثة كانت نائمة بجانب الأخرى التي ساءت حالتها ..أحست برجل وضع قدمه على بطنها وراح يضغط ..أحست بثقل شديد ليس كأي بشر ...فصرخت لتأتي أمي التي دائما ما انكرت ..مرة كنت نائمة سمعتني أختي كأني إختنق ..اضاءت الهاتف لتجد عيناي مفتوحتان و أسناني ضاغطة على بعضها ... وكأني غاضبة ..أنا كنت نائمة بهدوء لكن اختي أخبرتني بذلك في الصباح قرأت عني قرآن..وايقظتني ثم نمت ..لم أعد أحتمل اكثر قد بلغ السيل الزبى ..ذهب الى جارتنا و أخبرتها بكل ما حدث قالت لي إسألي امي .سألتها قالت لي : كانت تعيش فتاة شابة ذات شعر اسود طويل وجميل ولها طفل صغير بعمر السنتين ..وكان زوجها يغيب عنها لأيام ثم يعود ..كانت تزورنا..احسست بخوف فإنها نفس مواصفات المرأة ..تبا..سألتها هل ماتت ماذا حدث معها ..قالت : لا أعلم فقد قيل لنا أنهم غادروا ..و لم نسمع عنهم شيء ..خفت كثيرا عدت إلى البيت أخبرت اختهاتي و أمي ..الكل اصبح مذعور.. وفي ليل صعدما كعادتنا للسطح ننام نمت بجانب اختي التي اصبح حالها غريب ..الكل نام تقريبا سمعنا دوي بالأسفل ..وضربات

على الجدران والنوافذ تضرب ..اختي تكلمت معها وضعت يدها على أرضية السطح وقالت : هل تسمعينني حدث مرتين قالت اختي : هل انتي ميتة هنا ونحن ازعجناك : تكرر الصوت الدوي بضربات الجدران وضرب اسفل السطح .. قالت اختي : لنقرأ الفاتحة على روحها هي و عائلتها : قرأت الفاتحة انا و أختي توقف الصوت ..مرت الليلة بخير ..ولكن بعد ليالي ..وحدوث ظواهر غريبة لم تصدقنا أمي ..أخبرنا في إحدى الليالي بكل شي وأنها يجب ان تصدقنا ..نظرت لنا وقالت مجانين وضعت الوسادة عند الباب الصغير الذي يخص السلالم وبينما هي تغفو اذ بها تصرخ ..الفينا حولها ..قلنا ماذا هناك .قالت رأيت كلباً اسود واقف على الباب واضع رأسه فوق وجهي حاول أكلي ..ولا يوجد عنده فك سفلي ..فقط الفك العلوي. .رغم رعب الموقف إلا أننا انفجرنا ضحكا عليها ..قبل دقائق معدودة قالت انتم مجانين ..ثم اعترفت ان البيت ليس طبيعي مرت أيام قليلة جاء ابنة خالتي المتزوج ولديه أطفال ابنه الكبير بعمر الثالثة أو رابعة عشرة سكنوا بجانبنا ..كنا شعرنا بطمأنينة قليلا ..أخبرنا زوجة ابن خالتي بالأمر وطلبنا من ابنها ان يسال احد الرعاة القريبين منا ..ذهب إليه و روى له ما يحدث معنا ..عاد المرسول بكلام ليس بغريب ..قد أخبره الرجل أن إمرأة قتلت و ودفنت في ذلك المنزل المهجور .. مرت أيام ونحن نقرا الفاتحة على روحها ..ثم عدنا إلى ولايتنا والى بيتنا ..عادت النفسية متعبة جدا فقد رأينا ما لم نراه في حياتنا ..طفلا ليس كالأطفال و إمرأة حاولت قتلي و كانت تقف بجانب اختي عندما تصلي ..و أبي الذي هاجمه رجال وضربوه ليصرخ في منتصف ليل لأمي ذهبت إليه لم تجد احد..

ضحايا العنف

على كرسي الإنتظار بمشفى المدينة كنت جالسة على كرسي قديم يصدر صوتاً يشبه أنين الطفل الذي تركته أمه في شارع غريب عنه.
كنت أنتظر القائمة حتى ينادون على اسمي لأدخل للطبيب لعلي أشفى من زكامي.
دخلت امرأة أربعينية ، تلبس حجاباً أسوداً ، و الدماء تغطي وجهها ، ماسكا إياها ابنها الذي يكاد يبلغ العشرين لا يعرف حتى اين يضع قدماه من شدة الخوف و الرهبة.
يقول لها يا أمي اضغطي على الجرح . المرأة يظهر عليها أنها ستغشى ، لا تعرف أين تضع قدماها من شدة ما نزفت . إبنها صرخ أين الطبيب ؟ أين الطبيب؟..
فزع الكل و ركض الاطباء و الممرضين نحوها بأقصى سرعة محاولين إسعافها ..نسي الكل مرضه ، هاهي عجوز تنتظر أن تقيس السكري و أخرى الضغط و أطفال ينتظرون طبيب الأسنان .. و شيوخ ورجال و شباب الكل كان في حالة فزع وخوف ...ما زاد من قسوة المنظر أن المرأة كانت تحمل بين يديها طفل رضيع بعمر السنة .. حتى هو لم يسلم من دماء أمه كانت ملابسه ملطخة بدمها ..و طفلتين إحداهما تقريبا بعمر العشر سنوات و الأخرى بسبع سنوات .. أقدامهم حافية و شعورهم غير مهندبة .. وجوهم صفراء كالليمون .. ماذا حدث يا ترى هل هو حرب بعمق غزة أو حلب ؟
لا .. هكذا كان الجواب على سؤالي بعد أن أدخلت المرأة للعملية فأنفها كان قد جرح جرحا بليغ و خدها علامة السكين

تتجلى عليه .. دماء كالنهر تجري منه.
سمعت الأطباء يتكلمون مع الشاب اليافع ليخبرهم أن أباه هو من ضربها بسكين بعد أن تشاجرا ..لتصل الشرطة على جناح السرعة ... ليحققوا مع الشاب كان يصرخ الكل سمعه يقول ..أبي هو من ضربها .. فقد إعتاد على ضربها لكن اليوم حاول قتلها ..لتتجه الشرطة لإعتقاله و الأم أخذت إلى مشفى المدينة فحالتها حرجة .. ليبقى الأطفال في حيرة و فزع ليلحق بهم خالهم.
من أجل أمر من أمور الدنيا أدخل زوجته المشفى ليتشرد أطفاله .. لن يشعر بهذه القصة إلا من رأى العنف أمام عينيه.
في كل سنة آلاف النساء يفقدون الحياة بسبب العنف ويتشرد الأطفال بالشارع ...فمن فقد حضن بيته فلا بيت ياويه

إمرأة من حلب

نزلت القذائف مدمرة كل شارع و مكان بحلب .. ثم هدأ الوضع لتأتي فرق الأمن لتنقذ ما يمكن إنقاذه .. أتحدث عن حرب دامية قادتها قوات مسلحة لا نعلم هل هو وطننا أو وطن الغير .. خراب ... خراب .. هكذا أصبحتي يا شام المحبة ... قضاء الله وقدره و أهلا بقضاء الرحمان .. الحمدلله .. الحمدلله كلمة أرددها و أخذت أعيدها مع ابتسامة حرقة بعد أن بقيت وحيدة كل شيء أصبح في غياهب الجب ... ذلك الجب المليء بالحزن و الأسى ...إختفت شمس السعادة من على شفتاكي يا حلب ...لكنها سوف تعود ...ستعود الفرحة ليست بإبتسامة غبية بل بضحكات و قهقهة تهز كيان كل عدو ...سنعود يوماً ...لنزرع الورد الشامي و نغني الموال ... سنعود بعد غياب و سنكون رمز الصبر و رمز الأجيال ... حلب مدينتي التي غرست فيها بذرة طفولتي لتعيش شتلة شبابي بها ... حاول المغتصب نزعها ليتركها تموت لكن القدر ساقها الى بيروت ... ها أنا بعد رحلات اللجوء و ترك الجيش به اخوتنا و أبائنا ... به كل رجل يحمل دماً شامياً سورياً أبياً.. وصلت مع الوفود اللاجئة الى بيروت .. أخذتنا العزة للوطن بعد أن وصلنا لبلدنا الثاني ... فلبنان عربية تحمل دم الغيرة و الشهامة ...بنوا الخيم لنا و عالجوا جرحانا .. وبقوا بجانبنا محبين و إخوانا .. جلست في خيمتي مفكرة كيف

كان أبي ليشعر لطالما أراد زيارة بيروت و التفتل بشوارعها العتيقة كيف كانت أمي و اختي و اخي أن يشعروا بعد ترك الوطن و بيتنا بحلب .. غرقت في الماضي و الحسرة تعلو عيوني العسلية .. قررت أن أنام لكن أصوات الأطفال و النساء لم يدعني أغفو ..كيف أن أنام وقلبي تعلق بك يا حلب .. آآآه ... كم أتمنى العودة لأغفو بين شوارعك الجميلة لأقبل كل حجرة بها ..لأبث شوقي إليها ...ياريت ! صراع عقلي لم يتوقف أتخيل لو أن أهلي و ناسي أحياء و أن بيتي بخير و أن حلب هادئة كسابق عهدها .. أتخيل كم كان الحلم بها جميل أخخخ أخخخ منك يا سوريا .. أتمنى أن أقبل كل شبر بك لعلي أروي عطش السير تاركة إياك ورائي... دخان و دمار و دماء الشهداء .. مرت ليلة تعيسة ببعدي عنك يا شام ...لكن جروحي تعالج ببيروت هنا وطني الثاني ...لكن من يعوض فراق الأم يا حلب. أشرقت الشمس لكن قلبي مازال ظلمة قلبي مازال يتأرجح على أرجوحة شجرة بيتنا. لأخرج من خيمة صغيرة قضيت الليلة فيها بجانب العديد من النساء اللاتي يشبهن حالتي ... وضعت وشاحي الأسود على رأسي كنت أشعر بجوع و عطش شديدين ، لأنظر إلى السماء صافية ، و أنظر إلى المخيمات البيضاء التي أعدادها تقارب مئة مخيم .. الدخان الذي يتصاعد من النار التي أشعلها اللاجئون في براميل البنزين الفارغة أو في الأرض ..ذكرتني بنار الشوق لحلب ... أول ليلة لي في أرض ليست بسوريا ... ومن يشعر بألم قلبي و تفتت كبدي من حرقتي على وطني ... بقيت أتأمل الشباب المعطوبين الذين لم يعودوا قادرين على حمل السلاح و الدفاع عن الوطن . شيوخ و عجائز و نساء يحملن أطفالهم .. جلست على. الأرض الندئة كأني أعلن إستسلام قلبي

للحزن .. أنظر بحرقة لأبناء وطني .. آآه يا شام ... يا شام العزة ..هل سأعود لك وأسقط في أرضك و أقبل ترابك ؟ .. عطرك يا شام عطّر قلبي بالحب و الحنين إليك .. لم أعد أقوى على البكاء فطاقتي كلها إستنفذت عندما رأيت عائلتي و أهلي تحت الأنقاض و أنا عائدة من الثانوي ...عمري ثمانية عشرة سنة فقط لكني أصبحت أعادل عمر الجبال بضيعات بيروت .. كنت أرى كيف الأطفال يصرخون على الأكل و أمهاتهم تحاول أن تسكتهم .. أطفال صاروا يتامى ... و أنا أصبحت يتيمة مرتين، الأهل ذهبوا و الوطن تركته إكراها ..لم أشأ أن أترك وطني بل قلت لقائد الجيش سأبقى و أحارب ، مسكني من يدي و قال : السلاح دعوه لنا إذهبي للبنان إني أوصيك باللاجئين يا بطلة ...كانت كلماته تحمل لي مسؤولية الحماية و تمثيل اللاجئين و المحاربة لجلب لهم مساعدات من كل أنحاء العالم ... فكرت مليا و مليا أحسست ببرودة الأرض فوقفت ثم إتجهت بخطى هادئة لم أعرف وجهتي إلى أين فقط امشي إلى أ لا مكان ...ثم عدت إلى المخيم و حملت حقيبة المدرسة خاصتي ..لم تفارقني أبداً ..فبها هاتفي و دفاتري و أقلامي ...ثم خرجت و عدت للمشي بين المخيمات ..أخرجت دفتري نظرت إلى دروس العلوم التي لطالما إجتهدت بها فكنت أريد أن أكون طبيبة جراحة ...سقطت دموعي بعد خمسة أيام تقريباً .. أربعة أيام قضيتها في رحلة المهاجرة و مشاكل الخروج من على الحدود .. ويومي هذا في بيروت ...مزقت الأوراق و رميتهم في النار التي كان يحيط بها بعض الأطفال فالجو بارد ولا ملابس و لا أكل ...أخذت أتجول ما بين المخيمات و أكتب ما ينقص اللاجئين ... أدوية و أكل و ضمادات و غيرهم من مواد علاج ...وبينما أنا

في آخر مخيم إذ بي أرى شاحنات تتقدم نحونا ... عاد لذاكرتي شاحنات العدو بسوريا سقط القلم و تجمدت مكاني ... ليس خوفا عن نفسي و إنما عن أهلي اللاجئين ... إقتربت الشاحنات حتى أصبحت أرى أعلام لبنان ترفرف ..مكتوب على الشاحنات مساعدات اللاجئين..

توقفت الشاحنات و بدأ اللاجئين يركضون و يكتضون حولهم ... من يأخذ حصته من الكراتين يعود للمخيم ثم نزلت إمرأة من سيارتها رأتني واقفة دون حراك كأن الدم تجمد في عروقي ولم أعد أقوى على الحراك ... وضعت يدها على كتفي و قالت بإبتسامة طيبة ... ألا تحتاجين أي شيء .. قلت لا كل ما أحتاجه أن يعود الأمن لسوريا و أن تعتنوا بأبنائها هنا .. نظرت لي وقالت : لا تخافي نحن وطن واحد و سوف تتقدم الدول العربية الأخرى بالمساعدات فقد وصلتنا رسائل عدة ..من بلدان العالم من بينهم دول المغرب العربي و مصر و دول الخليج .. نظرت لها بنظرة حرقة عن وطني .. وقلت : أعلم أن الدم العربي كالبركان لن يرضى الذلة أبداً ثم مسكتها من يدها ووضعت الورقة في يدها ... وقلت : هذا جل ما ينقصنا أتمنى أن تصل حمولات أخرى من الدول العربية .. قالت لا تخافي : لبنان أم أيضا و تعرف معنى الأمومة ...سيصبح كل شيء بخير . _ تحيتها و أخذت كرتونة تلوى الأخرى أعطيهم لأبناء وطني .. متيقنة أن الوطن يبلغنا سلامه .. و سترفع راياته عما قريب لتسطع نجومه مهلهلة في سماء الحرية ... _ أحبك يا سوريا فأنا إبنة حلب.

كريمة وقارب الموت

أشرقت شمس الصباح بعد يومين من الأمطار الغزيرة في إحدى الأحياء القصديرية ببومرداس نواحي العاصمة الجزائرية ...جلست الخالة كريمة تحت أشعة الشمس بعد أن وضعت فراشا مزركشا تنظر بنظرات تعب وخيبة و حصرة ..عيناها تدمعان مريضتان من شدة مابكت كانت ذبابة تحوم عليهما ..تحاول إبعادها بيدها التي أخذت التجاعيد ترسم بشرتها السمراء ... كريمة تلك المرأة الأرملة عاشت جل حياتها بين القصدير .. تنتظر فرج الله . كانت تعمل كمنظفة في المشفى ثم تقاعدت هاهي الآن تبلغ من العمر خمسة و ستين سنة ...تضع وشاحاً بني تلبس عباءة سوداء .. جالسة تحت أشعة الشمس الربيعية ... بيت قصديري لا باب به ..فقط قطعة من بساط قديم جعلتها ستارة لبابها .. أواني بالداخل قديمة بها آثار الدخان فهي تضطر أحيانا للطبخ على النار فقارورة الغاز لا تدوم طويلا خاصة في الشتاء ...كان هناك إبن أختها يعيش في البيت القصديري المجاور لها ..يذهب ويحضر معه الحطب من الغابات البعيدة على سيارته القديمة ... _ كريمة أو كما يلقبها البعض الحاجة كريمة بالرغم من أنها لم تزر بيت الله ...غطى الحزن و الأسى عنها ..إبنها الأكبر جليل يعيش ببيته القصديري بجانب بيتها و إبنتها الصغرى حنان تزوجت قبل أربعة سنوات و هي تعيش في نفس الأحياء القصديرية ..أما إبنها المتوسط إسحاق ..فقد إلتغفته الأمواج العاتية قبل أيام

معدودات بعد أن وجدت جثته الصيادين ليستدعوا أعوان الحماية المدنية ليسلموها الجثة... تاركاً قلب أمه يتفتت في كل يوم ...هاهي تجلس في مكانها كعادتها على نفس الفراش .. تتأمل ذرات الغبار التي تتطاير بعد أن كشفتها أشعة الشمس ... تحاول إعادة إحياء ذكرى ابنها الذي بقي صدى ضحكاته في كل مكان ..و لعبه بعلبة الطماطم الفارغة كأنها كرة ..تتذكر كيف مات زوجها في العشرية السوداء ...تاركا ورائه ثلاثة أطفال يواجهون مصيرهم معها ..الحاجة كريمة منذ وفاة ابنها والحزن و الصمت يخيمان عليها ...فلم تعتد الجلوس هكذا و الصمت طويلا ...تنظر لحذائه و ملابسه التي بقيت بالمعلاق مرت عليها أمطار و شمس وهي بمكانها ...كأن كريمة تخاف أن تطوي الملابس أو تتخلص منها فيعود إسحاق و يقول لها : ماما أين ملابسي ؟ فهي تعلم أسلوبه الحاد و عصبيته ...و طيبة قلبه و تهوره .. _ بدأت قصة إسحاق عندما قال له صديقه : أن الحياة هنا و الذل ، يمكن التخلص منهما بالهجرة و البحث عن الحياة الكريمة هناك .. إسحاق في قرارة نفسه تردد كثيراً لكن الطمع في الحياة الأفضل و الزواج من إمرأة أوروبية ثرية عمى عيناه ...فركب قارب الموت بعد أن جلس مع كريمة و تحدث معها كأنه يودعها ...ثم قبل رأسها و قال سأعود مع وقت العشاء لآكل المعكرونة التي أحب ...مع توقيت العصر كان يجالس أمه و يضحك معها عن مغامرات عمله في البناء مع العمال الآخرين .. ويستعيد معها ذكرى دراسته و كيف المعلم كان يقوم بتهميشه لأن ملابسه ممزقة و متسخة ...فهو لا يعلم حال إسحاق ... بعد مغادرته ذهبت كريمة للمحل و إشترت معكرونة و عادت للبيت و بدأت بطهيها ... إسحاق

توجه إلى عُصبته لينتظروا الرجل الذي تواعدوا معه ليحضر لهم زورقاً ... ليقطعوا أمواج العدم لعل ورائها الجنة المرجوة ... غادرت الشمس مودعة الأرض ...وجاء من كانوا ينظرون ...ركبوا الزورق و مضوا ...بدأت العاصفة ... و إنقلب بهم الزورق ...ليسقطهم في أعماق البحر الذي لا يرحم.. إنتظرت كريمة إسحاق حتى برد الأكل ... وفي الصباح ذهب الصيادين ليروا حالة البحر ... ليجدوا تسعة جثث مرمية على الشاطيء ...هدأ الجو لكن لم تهدأ صرخات الأمهات و الزوجات بعد سماع خبر أفلاذ كبدهم.. كريمة سمعت الخبر ... بكت و بحرقة ...ثم إعتادت على الأمر بألم..مرت خمسة أيام و هي تجلس في مكانها تنتظر إسحاق أن يعود ...تتخيل طيفه جالساً معها يطلب المعكرونة التي يحب ..لا يطلب سيارة ولا منزلا و لا عملا يعود عليه بأموال طائلة ...فقط معكرونة ليسد جوعه ...حالة كريمة ليست بحالة واحدة بل هناك الآلاف منها ...أولادهم تهوروا وغادروا لفرنسا يعتقدون أن هناك يوجد من يستقبلهم بالورد و الترحيب ...فمن قتل أجدادك لن يرحمك أنت .

لم ينجبن رجالاً !!!

بدأت عملي كممرضة في دار العجزة منذ أيام قليلة ... عرفت أين تنام كل إمرأة ، و أين هي الحمامات و المطعم ..عدد هائل من العجائز ..هناك من هي مقعدة و هناك من هي تمشي بخطوات تقيلة ترافقها العكاز ..

* تم تعييني كمسؤولة على أربعة عجائز ...

_ إحداهما مصابة بالزهايمر و أخرى لا تستطيع أن ترى و ألأخريات بسن كبير لكن صحتيهما جيدة ،

أخذت ملفاتهن وبدأت بقرائتهم المرأة التي فقدت بصرها تعاني من مرض السكري تبلغ من العمر ستين سنة إسمها خديجة ..و الثانية التي بها عطب بقدمها، لا تمشي إلا بالعكاز ، صحتها جيدة لكنها تعاني إضطرابات نفسية حادة بسبب الصدمة التي تعرضت لها بعد أن تركها إبنها عند باب دار العجزة تدعى زوليخة عمرها حوالي سبعين سنة .

و الثالثة مصابة بالزهايمر تدعى عائشة تبلغ من العمر خمسة وسبعين عام .

الأخرى التي ملفها الصحي خال من وجود أي أمراض مزمنة وصحتها جيدة تدعى السيدة حليمة تبلغ من العمر تسعة و خمسين سنة ..

إتجهت إلى مكتب صغير خصص لي بغرفتي التي إستلمتها مقابلة لغرفة كبيرة بها أسرة أربعة التي تنام عليها السيدات الأربعة ..

أخذتهن إلى غرفتهن بعد تناول العشاء ، و كل واحدة منهن أَوَتْ لسريرها ...أعطيت لكل واحدة منهن دوائها ، أما عائشة بحكم أنها مريضة بالزهايمر طلبت من أن أحك لها قصة كأنها طفلة صغيرة ، رويت لها قصة قصيرة من قصصي التي خطتها أناملي فلم أكملها حتى وجدتها غفت كطفل صغير ...أكذب إن لم أبك على حالتها ...يداها اللتين راحت تداعب يدي يظهر عليها كم مرة حملت أولادها وكم مرة غسلت و طبخت ...تجاعيد يديها تخبرانني بكل ظروف الحياة التي مرت عليها.

قبل مغادرتي الغرفة نادتني السيدة

حليمة : بنيتي تعالي إجلسي بجانبي .

تقدمت نحوها بخطوات هادئة خوفاً من إيقاظ السيدات .. أخذت كرسي وجلست بجانبها ..ثم وضعت الوسادة خلف ظهرها ورحنا نتبادل أطراف الحديث..

قالت لي : يبدو أنك جديدة هنا ؟

_ قلت : نعم يا خالتي اليوم هو يومي الأول في هذا المركز ، لا تقلقي أعدك أني سأحسن معاملتكن ...

قالت لي : يبدو أنك صغيرة ..كم عمرك .

قلت : واحد و عشرون سنة ..أنا أعمل على والداي ..فأخي ذهب للجيش ، بقيت أنا و أختي الصغيرة فقط ..ها أنا ذا أفارقهم من أجل القوت .

* نظرت في عيناي وابتسمت : آآه ! تذكرينني بنفسي كثيراً .كنت بمثل عمرك ، كنت أحب فعل الخير مثلك، زوجني والدي و أنا بعمر السابعة عشرة فقط ..

لأجد نفسي ربة بيت و أم لأطفال ..

كبر أولادي تزوجوا و ذهب كل واحد منهم في طريقه ..بقيت عند ابنتي ، كان زوجها يشرب الخمر ليعود مخمور فيضربها ..وعندما أحاول أن أخلصها من قبضته كان يضربني ...ضربني مرة حتى دخلت للعناية المركزة ...ثم ذهبت للعيش عند ابني ..رفضتني زوجته ... و أخرجتني من البيت لكني لم أنجب رجلاً. فحملني و رماني هنا..لكن الحمد لله وجدت صديقات هنا ...لكن العاملة التي قبلك كانت تضربنا ... خاصة عائشة فهي تعاني الزهايمر لكنها لم ترحمها ...حتى إكتشف المدير ذلك ..فطردها و أحضرك أنتي.

نظرت لي نظرات ألم و أسى ..ثم ضحكت و قالت : أعلم أنكي طيبة فهذا يظهر من عيناك الجميلتين .

_ ابتسمت لها وقلت : سأحاول أن أكون إبنة لكن ، كل شيء سيمر يا خالتي ... الحمد لله على كل حال ..

ثم قلت : هيا إلى النوم لا يجب أن تتأخري عن وقت نومك ، فغداً إن شاء الله ، سيكون يوماً جديد عندي لكن مفاجأة .

و في صباح اليوم التالي بعد أن أشرقت الشمس مع الساعة سابعة تقريباً سمعت صراخ إحدى الممرضات زميلاتي ..تقول أين الطبيب أعتقد أنها ميتة..

ركضت مسرعة ..نحو الغرفة و فتحت الباب و جدتهن نائمات إلا زوليخة تبكي فقد جائتها نوبتها بسبب الخوف و الإستيقاظ على صوت الممرضة ..شعرت براحة إلا أني خفت على زوليخة

..ركضت نحوها و أعطيتها كأس ماء ثم ضممتها و رحت أستغفر و أستغفر ..حتى بدأت تستغفر معي و هدأت ...
ثم قلت : كيف حالك ؟ ما بك أنا هنا بجانبكن كلكن .
أخذت نفسا عميقا و تسطحت على سريرها .. مسكت يدها .. وقلت لا تخافي لن يؤذيك أحد ..
مسحت دمعاتها ..منظر يحرق القلب دموع تسقط من عيناها الصغيرتان اللاتين غارتا خلف التجاعيد و الوشم ... يا الله ، كم عانت من قهر ، هذه المرأة الطاعنة بالسن .
جلست أحاورها و أكلمها عن الإستعمار ..ثم بدأت تروي لي معاناة الشعب الجزائري أوقات الإستعمار الفرنسي الطاغي ...ثم قالت : أتذكر ضحكات ابني الوحيد عندما كنت أحمله بين يداي عندما يمرض ، كنت أقيم الليل لأجل أن يشفى ...كنت أدرسه.
والده مات قبل سنتين لم أره حتى مات فقد تزوج و رماني انا ووالده بدار العجزة ...زوجي مات لم يتحمل القهر من ابنه الذي عمل وكد ليل نهار ليراه ناجحاً .. وعندما نجح و تزوج من إبنة الوزير رمانا في غياهب الجب ...لقد إنصدمت عندما وجدت نفسي عند باب دار العجزة مع زوجي المقعد مرميان ...

***لم تكمل كلامها حتى بدأت تبكي ..إستيقظت حليمة و خديجة و إقتربتا ...كانت حليمة تمسك يد خديجة وجلسن بجانبها بدأتا تكلمانها و تهدئان من روعها...ثم تغير الموقف من حزن و بكاء الى ضحك بعد أن إستيقظت عائشة و قالت لهن ... ألم تريا دميتي ..اعتقد أنكن سرقتن دميتي..وقالت أتبكيان لأن الحلوى لم تبقى ..**

كان الموقف مضحكاً ...فتخطينا تلك الأجواء الكئيبة ...تركتهن يتكلمن ...ذهب لأجهز نفسي ...ثم أحضرت لهن الفطور و صلينا الفجر معا كلنا ...ثم خرجت برفقتهن للحديقة ...

بعد خروجنا للحديقة وصل أعضاء الجمعية الخيرية ...كان الأمر مفاجأة لهن فقد اتصلت بالجمعية ليحضروا بعض المتطوعين لزيارتهم ..أحضروا لهن الهدايا و الملابس و أدوات الحياكة ...

جلست اتأمل ضحكات المئات من العجائز ليس فقط سيداتي أنا ...

لكن لفت إنتباهي في الجهة المقابلة البعيدة قليلا رجلا يبكي بحرقة ...علمت أنه ابن المرأة التي توفيت صباح هذا اليوم ... لا تسمى بدار العجزة كان يجب تسميتها بدار اللاتي لم ينجبن رجالا.

النهاية.